

أسلوب التمني ودلالاته البلاغية في روح المعاني للألوسي

The Method of Wishing and Its Rhetorical Connotations in Ruh Al-Maani by Al-Alusi

د. محمد عبد الرحمن آدم: مدرس البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات: الآداب،
الفنون، والإعلام، بجامعة أنجمينا، تشاد.

Dr. Mahamat Abdraman Adoum: Lecturer of Rhetoric and Criticism in
the Department of Arabic Language and Literature at the Faculty of
Languages, Arts, and Media at the University of N'Djamena, Chad.

Email: mhtabdraman17@gmail.com

DOI : <https://doi.org/10.56989/benkj.v4i8.1158>

الملخص:

تناولت هذه الدراسة أسلوب التمني ودلالاته البلاغية بشقيه الحقيقي والمجازي في واحد من أفضل وأوسع كتب التفسير وأغناها بالمادة العلمية، وهو تفسير الإمام أبو الثناء شهاب الدين الألوسي، (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني). وتتشكل مادة هذه الدراسة من مقدمة، وأربعة مطالب، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، يتناول المطلب الأول نبذة عن الإمام الألوسي، اسمه ونسبته وكنيته وولادته وحياته ووفاته، ونبذة عن كتاب (روح المعاني)، وفي المطلب الثاني يتناول مفهوم التمني في اللغة وفي اصطلاح البلاغيين، ويتناول مفهوم التمني عند الألوسي بشقيه اللغوي والاصطلاحي في ضوء تفسيره روح المعاني، وفي المطلب الثالث يتناول فيه أسلوب التمني الحقيقي، أنواعه وأدواته في ضوء فكر الألوسي من خلال تفسيره، أما المطلب الأخير فقد تناول فيه الدلالات البلاغية لأسلوب التمني في تفسير الألوسي، ثم الخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع. وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان مدى استيعاب تفسير روح المعاني لكثير من مباحث البلاغة المتعلقة بالنظم والإعجاز، وقد استعان الباحث بالمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التقويمي.

الكلمات المفتاحية: أسلوب التمني، الدلالات البلاغية، تفسير روح المعاني، الإمام الألوسي، بلاغة قرآنية.

Abstract:

This study dealt with the style of wishful thinking and its rhetorical connotations, both real and metaphorical, in one of the best and most extensive books of interpretation and the richest in scientific material, which is the interpretation of Imam Abu al-Thana Shihab Al-Din Al-Alusi, (The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis). The material for this study consists of an introduction, four sections, a conclusion, and a list of sources and references. The first section deals with an overview of Imam Al-Alusi, his name, lineage, surname, birth, upbringing, and death, and an overview of his book (The Spirit of Meanings). The second section deals with the concept of wishing in language and in the terminology of rhetoricians. It deals with the concept of wishing according to Al-Alusi, both its linguistic and terminological parts, in the light of his interpretation of the spirit of

meanings. In the third section, he deals with the method of true wishing, its types and tools in the light of Al-Alusi's thought through his interpretation. As for the last section, it dealt with the rhetorical implications of the method of wishing in Al-Alusi's interpretation, and then the conclusion, and proven sources and references. The importance of this study lies in demonstrating the extent to which this interpretation accommodates many rhetorical topics related to systems and miracles. It has used the inductive approach and the descriptive analytical approach.

Keywords: wishful thinking style, rhetorical connotations, interpretation of the spirit of meanings, Imam Al-Alusi, Quranic rhetoric.

المقدمة:

احتلت المباحث البلاغية وأدواتها منزلة من أرفع المنازل عند المفسرين، فهي التي تستنبط أسرار القرآن الكريم وتسبر أغوار معانيه، فضلاً عن إبانيتها عن وجوه تفرده وإعجازه، ولقد كان شهاب الدين الألوسي صاحب تفسير روح المعاني امتداداً للاتجاه البلاغي في تفسير القرآن الكريم، فاعتنى في تفسيره بالبلاغة وفنونها عناية ظاهرة، واهتم بالمفردة القرآنية ودلالاتها البلاغية، كما اهتم كثيراً بالتركيب النحوية وأساليبه وإضاءاته البلاغية، ومن بين تلك الأساليب عنى بالأساليب الإنشائية، ويعد أسلوب التمني على رأس تلك الأساليب، لذا اخترت أن تكون عنوان الدراسة: أسلوب التمني ودلالاته البلاغية في روح المعاني للألوسي (دراسة وصفية تحليلية تقويمية).

إشكالية الدراسة:

تتحدد إشكالية هذا البحث؛ في أنه يقوم بتوضيح المفاهيم، والصيغ، والأدوات التي قام بمعالجتها الألوسي في تفسيره روح المعاني، والتي تمتد وتؤثر في جوهر أسلوب التمني، ومعرفة أبعادها الحقيقية ودلالاتها البلاغية.

أسئلة الدراسة:

- 1- ماذا تعرف عن تفسير روح المعاني، وكيف يكون البحث البلاغي فيه؟
- 2- ما مفهوم أسلوب التمني عند طوائف اللغويين والبلاغيين، وكيف كان مفهومه في نظر الألوسي؟
- 3- كيف كانت معالجة الألوسي لأسلوب التمني الحقيقي، وكيف تناول أنواعه وأدواته، ودلالاته البلاغية؟
- 4- ما وجه دلالة هذا الأسلوب على المعاني والدلالات البلاغية، ثم ما هي نظرة الألوسي لها في تفسيره؟

منهج الدراسة:

يستعين الباحث بعدد من المناهج: كالمنهج الاستقرائي، والوصفي التحليلي، والمنهج التقويمي، الأمر الذي يشكل ملامح المنهج التكاملي. ويقوم الباحث باستقراء ما في كتاب روح المعاني من ملاحظات حول أسلوب التمني ودلالاته البلاغية، والانطلاق من تركيب الجزئيات، ووصفها ثم تحليل مضامينها، وعرض آراء النقاد والبلاغيين ووصف موقف الألوسي منها، ثم مراجعة توجيهات الألوسي لهذه المفاهيم، ومظاهرة ذلك بما كتبه المفسرون والبلاغيون.

كما استأنس البحث بتوظيف المنهج التقويمي للوقوف على القيمة الحقيقية لآراء الإمام الألويسي، من خلال الرجوع إلى كتب التراث العربي المتمثلة في كتب التفسير والبلاغة، فكان كفيلاً باستكشاف إضافات الإمام الألويسي، أو نقولاته عن غيره.

أهداف الدراسة:

تهدف دراستنا لأسلوب التمني في روح المعاني إلى التعرف على ثقافة الإمام الألويسي البلاغية والنقدية من خلال تفسيره روح المعاني، كما تهدف إلى توضيح مفهوم التمني عند الألويسي، وتوضيح أنواعه وأدواته، كما تهدف إلى توضيح أهم الدلالات المجازية لهذا الأسلوب في تفسيره.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذه الدراسة في بيان مدى استيعاب هذا التفسير لكثير من المطالب البلاغية المتعلقة بالنظم والإعجاز وجمال المعاني، كما تبرز أهمية هذه الدراسة في إبراز الدور التاريخي للتوظيف البلاغي لدى المفسرين، وتأصيله، من خلال منهجية علمية حديثة.

سبب اختيار موضوع الدراسة:

تأتي دوافع هذه الدراسة في كونها دراسة للغة القرآن الكريم، لذا كان الميل إلى تذوق ملامح الجمال في أسلوب التمني في البلاغة العربية وإدراك عناصرها الفنية، وبيان قيمتها في واحد من أهم كتب التفسير البلاغية.

هيكل الدراسة:

تشكل مادة هذه الدراسة من: مقدمة، وأربعة مطالب، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع.

- مقدمة الدراسة ومشكلتها
- المطلب الأول: نبذة عن الإمام الألويسي، ونبذة عن تفسيره روح المعاني.
- المطلب الثاني: مفهوم التمني في اللغة وفي اصطلاح البلاغيين، وكذا مفهومه عند الألويسي في ضوء تفسيره روح المعاني.
- المطلب الثالث: أسلوب التمني الحقيقي أنواعه وأدواته في ضوء فكر الألويسي من خلال تفسيره.
- المطلب الرابع: الدلالات البلاغية لأسلوب التمني في تفسير الألويسي.
- قائمة المصادر والمراجع.

المطلب الأول: نبذة عن الإمام الألوسي، وتفسيره روح المعاني.

أولاً: نبذة عن الإمام الألوسي

هو العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (الزركلي، ج7، ص176)، نسبة إلى أُلوس وهو اسم رجل سميت به بلدة على الفرات، أو أنها بلدة على الفرات يقال لها أُلوسة (السمعاني، ج1، ص204).

ولد الألوسي في بغداد في الرابع عشر من شعبان سنة ألف ومائتين وسبعة عشر (كحالة، ج12، ص175)، وترعرع في كنف أبيه، وتتلذذ على يديه وأخذ عنه، وكان والده من العلماء المشهورين في بغداد آنذاك، وكان الألوسي مستمعا جيدا للقضايا والمسائل التي تناقش في مجلس والده، فأتى حفظ القرآن الكريم ومن ثم حفظ العديد من المتون في وقت مبكر من حياته. (البیومي، ج2، ص33) و(العسيلي، ص27).

توفي الإمام الألوسي يوم الجمعة 25 من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ. (الألوسي، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، ص11)، و(الزركلي، ج7، ص176)، و(كحالة، ج12، ص175).

ثانياً: نبذة عن تفسير روح المعاني

إن أجل إنتاج الألوسي وأعظم آثاره التي جلبت له الذیوع والشهرة، هو تفسيره الذي نشغل عليه والموسوم بـ (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، يشتمل هذا التفسير على جميع آراء المفسرين قبله كتفسير المحرر الوجيز والبحر المحيط، والكشاف للزمخشري وتفسير العمادي، والبيضاوي، وصاغ من ذلك كله تفسيره، بعد أن أطال النظر فيما قرأ، ووازن، وقارن، ورجح ما اختاره، معتمداً على زاد كبير من الثقافة الواسعة في علوم الشريعة واللغة والبلاغة (الذهبي، ج1، ص252 – 253).

وهو كتاب جمع فيه صاحبه، خلاصة التفسير السابقة، وتوسع في دراسة النواحي الإعرابية والبلاغية وختم تفسيره للآيات بالتفسير الإشاري، ولقد كان الألوسي إماماً لمدرسة كبيرة امتدت وتأثرت به فيما بعد (العسيلي، ص40).

المطلب الثاني: مفهوم التمني في ضوء روح المعاني

أولاً: مفهوم التمني في اللغة

جاء في اللغة أن التمني هو حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، ونقل ابن منظور عن ابن الأثير أن التمني هو اشتهاؤ وقوع أمر مرغوب فيه، وذكر من معانيه السؤال والدعاء (ابن منظور، ج15، ص292)، ومن معانيه أيضاً التقدير، يقال: تمنى الرجل الشيء، إذا قدر في نفسه بلوغه،

ومنه: منى الله لك كذا، أي: قدره (العسكري، ص149). ومن معانيه الكذب، وهو المعنى الذي ذكره الراغب، حيث يرى أن التمني والكذب يلتقيان في التلطف بصيغة تنطوي على معنى غير حقيقي، ومن هنا صح التعبير بالتمني وإرادة معنى الكذب (الأصفهاني، ص476). وذكرنا من معاني التمني التلاوة والقراءة، ويقال: تمنى الرجل إذا قرأ (العسكري، ص150)، ونخلص مما سبق أن التمني في اللغة يعطي المعاني التالية: اشتهاه وقوع أمر مرغوب فيه - حديث النفس بالممكن وغير الممكن - السؤال والدعاء - الكذب - التلاوة والقراءة.

ثانياً: مفهوم التمني في اصطلاح البلاغيين

اعتنى كثير من البلاغيين بأسلوب التمني ووضعوا له تعريفات محددة، فنجد العلوي يذكر في تعريفه: "التمني هو عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل" (العلوي، الطراز، ج3، ص291)، وذكر البابرّي أن: "له لفظ واحد: وهو ليت، وقد يتمنى بغيره بمعونة القرائن" (البابرّي، ص343)، وذكر التفتازاني: أنه طلب وقوع أمر ما على سبيل المحبة، وله أداة واحدة هي ليت، "ولا يشترط إمكان المتمني بخلاف الترجي ... لكن إذا كان المتمني ممكناً يجب أن لا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه وإلا لصار ترجياً" (التفتازاني، ص130)، أما السكاكي والقزويني - وهما من البلاغيين المتقدمين - فلا نجد لديهما أي تعريف يذكر للتمني، فالسكاكي لا يكاد يشرع في الحديث عن التمني في الباب الذي عقده فيه حتى يباشر حديثه عن أداة التمني (السكاكي، ص307)، وقد تبع القزويني نهج السكاكي في تناوله للموضوع فقصر حديثه عن الأداة والصيغة دون اعتبار لمفهومه (القزويني، ص130)، ونستطيع أن نخلص من هذه التعريفات أن البلاغيين يفرقون بين شكلين من التمني: طلب أمر محبوب غير ممكن وقوعه؛ إما لاستحالة وقوعه، أو لكونه بعيداً التحقق والحصول، وأن الأداة الأصلية أو اللفظ الموضوع للتمني أصلاً هو: ليت، وقد يتمنى عندهم بألفاظ أخرى، مثل: هل، ولعل ولو (الحسن، ص83).

والتمني يقدمه البلاغيون على سائر أنواع الطلب لأن مفهومه في نظرهم أعم من بقية أنواع الطلب، ولأنه لا يستدعي إمكان الحصول، بل يمكن وقد لا يمكن، بخلاف باقي أنواع الطلب فإن الإمكان شرط فيها (البابرّي، ص344).

ثالثاً: مفهوم التمني عند الألوسي

تعرض الألوسي لبعض المفاهيم المتعلقة بأسلوب التمني في مواطن متفرقة، واتصل بمفهوم التمني في اللغة، وذكر عند اتصاله بتفسير قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ...} [النساء: 123]، كلاماً نقله من الراغب الأصفهاني، حيث يقول: "والأمانى بالتشديد والتخفيف وبهما قرئ جمع أمنية على وزن أفعولة، وهي كما قال الراغب: الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء أي: تقديره في النفس وتصويره فيها، ويقال: منى له الماني أي قدر له المقدر، ومنه

قيل: منية أي مقدرة؛ وكثيراً ما يطلق التمني على تصور ما لا حقيقة له، ومن هنا يعبر به عن الكذب لأنه تصور ما ذكر، وإيراده باللفظ فكأن التمني مبدأ له، فلهذا صح التعبير به عنه" (الألوسي، ج5، ص151)، مما يدل على أن الألوسي أخذ بمعنى التقدير الذي ذكره اللغويون في إيضاح معنى التمني في اللغة، وأضاف في موضع آخر تفسير التمني على معنى الرغبة والقراءة يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: 52]، "والتمني على ما قال أبو مسلم نهاية التقدير ومنه المنية وفاة الإنسان للوقت الذي قدره الله تعالى، والأمنية على ما قال الراغب الصورة الحاصلة في النفس من التمني، وقال غير واحد: التمني القراءة وكذا الأمنية" (الألوسي، روح المعاني، ج17، ص173)، ويضيف الألوسي نقلاً عن أبي حيان في الجمع بين معنيين من معاني التمني في اللغة وهو التقدير ومعنى القراءة، يقول: "وفي البحر أن ذلك راجع إلى الأصل المنقول عن أبي مسلم، فإن التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئاً فشيئاً والمراد بذلك هنا عند كثير القراءة" (الألوسي، روح المعاني، ج17، ص173)، والظاهر أن الألوسي أخذ هذا كما صرح من أبي حيان وزاده توضيحاً، لأن أبي حيان ذكر أن التلاوة والكذب راجعان لمعنى التقدير (الأندلسي، ج1، ص436)، ولم يزد على ذلك، لكن الألوسي وضع ذلك، بحيث يتحقق الربط بينهما من خلال تقدير الحروف في النفس وتصورها قبل الشروع في تلاوتها.

كما تعرض لمعنى آخر من معاني التمني وهو معنى السؤال: وذلك حين تعرض لتفسير قوله تعالى: {الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ} [محمد: 25]، يقول الألوسي في معنى سول: "وقيل: أي حملهم على الشهوات من السول وهو التمني، وأصله حملهم على سؤلهم أي ما يشتهونه ويتمنونه..." (الألوسي، ج26، ص74).

وإذا تركنا المعنى اللغوي للتمني إلى المعنى الاصطلاحي فإن الألوسي يستعرض مفهوم التمني ويلتقي مع مفهوم البلاغيين وهو يفسر قوله عز وجل: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 94]، يقول الألوسي في معنى التمني الوارد في الآية: "والمراد بالتمني قول الشخص: ليت كذا، وليت من أعمال القلب أو الاشتهاء بالقلب ومحبة الحصول مع القول" (الألوسي، ج1، ص328)، ويفهم من ذلك أن أسلوب التمني عند الألوسي يتحدد أولاً: في التلطف بالصيغة الموضوعية للتمني في أصل وضعها، وهو أن يقول الشخص: ليت كذا، ويتحدد ثانياً: في تعاضد النطق بالصيغة مع الإرادة والاشتهاء والمحبة القوية في تحقق هذا الطلب، فهو كما صرح الألوسي في نهاية تعريفه: محبة حصول المطلوب مع التلطف بصيغة التمني.

ويبدو أن الألووسي قد اطلع على مفهوم أسلوب التمني عند المعتزلة الذي يرون أن حقيقة التمني لا تتجاوز الكلام اللساني، أي: اللفظي، على اعتبار أن هذه الصيغة دالة عليه في أصل وضعها اللغوي، وكذا اطلع على مفاهيم أهل السنة الذين يرون أن التلفظ بالصيغة وحدها غير مدفوع بالإرادة المؤدية إلى قوة الرغبة في تحقق المطلوب غير كاف في تحقق أسلوب التمني (النيسابوري، ج2، ص405)، ومن هنا نستطيع أن نقول: أن الألووسي تأثر بمفاهيم أهل السنة والجماعة في تصويره للأساليب الإنشائية بصورة عامة، وأسلوب التمني بصورة خاصة.

المطلب الثالث: التمني الحقيقي، أنواعه وأدواته في ضوء روح المعاني

أولاً: أنواع التمني في ضوء روح المعاني

لقد شاع عند البلاغيين المحدثين التفريق بين نوعين من أنواعه؛ تمنى المستحيل، والآخر تمنى ممكن وقوعه ولكنه بعيد، ولا يستدعي هذا الطلب إمكانية الوقوع في كلتا الحالتين، وأن الأداة الوحيدة الأصلية لهذا الأسلوب هو (ليت):

١. تمنى الشيء المستحيل:

هو طلب شيء يستحيل وقوعه مع الرغبة القوية في حصوله، ومثلوا له بقوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: 23-24]، فهذه الآية تصور ذلك الإنسان المعرض عن دعوة الرسل، الكافر بقاء الله والجزاء على الأعمال، إذ تقوم القيامة ويجيء الرب لفصل القضاء وي جاء بجهم ويتذكر الإنسان ويأسف ويتحسر، وماذا عساه أن يقول في هذا الموقف الرهيب يقول نادماً متحسراً {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} مع استحالة رجوعه إلى الدنيا (الجزائري، ج5، ص570)، يقول الألووسي في معنى الآيتين: "أن المعنى يا ليتني قدمت أعمالاً صالحة لأجل أن أحيا حياة نافعة وقال ذلك لأنه لا يموت ولا يحيا حينئذ وهو كما ترى ويجوز أن تكون اللام توقيتية .. ويكون المراد بحياته حياته في الدنيا أي يا ليتني قدمت وعملت ... وفي الكشف أن التمني قد يقع على المستحيل على أنه حالتئذ كالغريق ... " (الألووسي، ج30، ص129)، مما يدل على توقف الألووسي على هذا النوع من أنواع التمني وهو تمنى الشيء المستحيل ويشبه حال المتمني وهو في تمنيه بحال الغريق اليأس الذي أيقن أن نجاته يكون مستحيلاً.

ب. تمنى الشيء مستبعد الوقوع:

هو طلب شيء ممكن وقوعه مع وجود الرغبة القوية لكنه بعيد لا يرتجى حصوله، فهو كالمستحيل؛ ومثلوا له بالآية الكريمة على لسان قوم موسى: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: 79]، يقول الألووسي في معنى التمني الوارد في الآية: "وقالوا ذلك جريا

على سنن الجبلية البشرية من الرغبة في السعة واليسار ... ولعل إرادتهم الحياة الدنيا ليتوصلوا بها للآخرة لا لذاتها، فإن إرادتها لذاتها ليست من شأن المؤمنين، وقيل: كانوا كفارا ومنافقين وتمنيهم مثل ما أوتي دونه نفسه من باب الغبط ولا ضرر فيه على المشهور" (الألوسي، ج2، ص122)، فمن أراد الحياة الدنيا رغب في الحصول على مال وفير يعادل مال قارون... فإذا كان قارون قد أوتي من الحظ الكثير فلا يعني أن يتحقق للآخرين وإن لم يكن مستحيلاً، وهذا وإن لم يصرح الألوسي بذكر هذه الدلالة إلا أنها مفهومة ضمناً.

وإذا كان النحاة العرب قد اختلفوا فيما إذا كان التمني من الخبر أو من الإنشاء (العلوي، أمالي ابن الشجري، ص426-427)، واستقر علماء البلاغة على أنه من قبيل الإنشاء (السيوطي، ج2، ص221)، فإن الألوسي يضم صوته إلى البلاغيين ويرى أنه أي التمني من الإنشاء، وذلك حين تعرض لتفسير قوله عز وجل: {وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 28]، يقول الألوسي: "أي لقوم كاذبون فيما تضمنه تمنيه من الخبر بأن ذلك مراد لهم، ويحتمل أن يكون هذا ابتداء إخبار منه تعالى بأن دين هؤلاء وهجيراهم الكذب. وليس الكذب على الاحتمالين متوجهاً إلى التمني نفسه لأنه إنشاء والإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب. وقال الربيعي: لا بأس بتوجه الكذب إلى التمني لأنه يحتمل الصدق والكذب بنفسه..". (الألوسي، ج7، ص130)، فالتمني عند الألوسي - على غرار البلاغيين - إنشاء، لأنه لا يحتمل الصدق والكذب في نفسه.

ثانياً: أدوات أسلوب التمني في ضوء روح المعاني

1 - أداة التمني (ليت):

فيما سبق ذكره يمكن القول بأن (ليت) هي التي وضعت للتمني في أصل وضعها اللغوي في اللسان العربي، وهي عند النحاة "حرف تمن، تكون في الممكن والمستحيل" (المرادي، ص491-492)، ولا يدخل حرف التمني هذا على الجملة الفعلية، وتختص بالجملة الاسمية (أنيس، وآخرون، ج2، ص849)، ولا تدخل على الجملة الفعلية إلا إذا اقترنت بـ (ما) الكافة لها عن عملها، نحو: ليتما يومض بارق الهوى، لكن يبقى دخول (ما) الكافة على حرف التمني (ليت) فرع عن أصل وضع (ليت). ومهما يكن فإن (ليت) مختصة بالجملة الاسمية في أصل وضعها اللغوي، ولا تدخل على الجملة الفعلية بنفسها، بل لا بد لها من مسوغ يؤهلها في الدخول عليها، وهو (ما) الكافة، و(ما) الكافة غير مختصة بـ(ليت)، بل تدخل عليها وعلى غيرها، لتهيئتهم للدخول على ما لم يستطيعوا الدخول عليه في أصل وضعهم اللغوي، وتبقى الإشارة إلى أن (ليت) هي الأداة الوحيدة المتأصلة في تأديتها لمعنى التمني، مما يدل على قلة استعمالات أسلوب التمني ضمن فنون القول المختلفة أو ضمن اختلاجات نوازع النفس ورغباتها، لأن أسلوب التمني ما هو إلا مسلك تنفس وهروب من الواقع المعاش إلى رغبة عز مطلبها، وتناءت السبل إليها؛ لهذا فهو يكثر

في كلام الشعراء الذين يجمعون بخيالهم، ويتمنون ما لم يحققوه على أرض الواقع (الجعيد، ص563-564).

أما الألووسي فقد اتصل بأداة التمني (ليت) عرضاً وهو بصدد تفسير الآية: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ} [البقرة: 95]، يقول الألووسي: "أن المراد بالتمني هنا الأمر القلبي، بل هو أن يقول: ليت كذا ونحوه كما مر آنفاً..". (الألووسي، ج1، ص328)، ومعنى هذا أن أسلوب التمني عند الألووسي يتحقق - كما أسلفنا - بالتلفظ بصيغة التمني، واستخدام الأداة الأصلية فيها وهي (ليت)، وذكر الألووسي في موضع آخر أن (ليت) حرف تمني وهو الحرف الوحيد المشعر بالتمني في أصل وضعه اللغوي (الألووسي، ج1، ص330).

2- أدوات تقوم مقام (ليت):

وقد يستخدم في معنى (ليت) أدوات أخرى وهي: (لو، هل، لعل). ولا يستعمل إلا فيما لا يرجى تحقيقه، وهي تستعمل مكان (ليت) لغرض بلاغي (جمعة، ص185)، وهي:

أ. (لو):

والمعنى الموضوع له في أصل وضعها اللغوي، والمشهور على ألسنة النحاة أنها حرف امتناع لامتناع (السيوطي ج1، ص508)، وللنحاة كلام طويل في معنى (لو) لا حاجة للبحث في سردها، والذي يهمنا هنا هو استعمالها في معنى التمني، وذكر المرادي اختلاف النحاة في حقيقة (لو) التي تفيد التمني، يقول: "(لو) هذه ك (ليت)، في نصب الفعل بعدها مقروناً بالفاء، واختلف فيها على ثلاثة أقوال: الأول: أن (لو) التي تفيد التمني قسم برأسه، فلا تجاب كجواب الامتناعية... الثاني: أنها هي (لو) الامتناعية نفسها أشربت معنى التمني. وصحح هذا الرأي جمهور من النحاة" (المرادي، ص289). ويبدو أن الألووسي قد اطلع على خلافاً النحويين في (لو) التي تفيد التمني، فنراه يعرض آراء النحاة فيه، وهو بصدد تفسير قوله عز وجل: {وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ} [البقرة: 96]، يقول الألووسي: "... وقيل: {لَوْ} بمعنى (ليت)، ولا يحتاج إلى جواب، والجملة محكية ببيود في موضع المفعول، وهو وإن لم يكن قولاً ولا في معناه لكنه فعل قلبي يصدر عنه الأقوال فعومل معاملتها... يقول: إن (لو) في أمثال ذلك مصدرية لا غير، لكنها أشبهت (ليت) في الإشعار بالتمني، وليست حرفاً موضوعاً له ك (ليت)، ونحو: لو تأتيني فتحدثني بالنصب، أصله وددت لو تأتيني الخ، فحذف فعل التمني لدلالة (لو) عليه، وقيل: هي (لو) الشرطية أشربت معنى التمني" (الألووسي، ج1، ص330)، والظاهر أن حديث الألووسي حول (لو) يميل إلى الجانب النحوي أكثر من الجانب البلاغي، ولعل الملمح البلاغي الذي يفهم من كلامه ضمناً ولم يصرح به هو أن (لو) بمعنى (ليت) وأنها في أصلها شرطية، وأن مجيء

(لو) دون (ليت) لإفادة معنى التمني؛ لأن الأمر المتمنى هو الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى، مما يؤكد عزة حصوله، واستحالة وقوعه.

وقد ورد للأداة (لو) استعمالان، الأول: مع الفعل (وَدَّ . يود)، والثاني: من دونه وكلاهما في التمني، فمن الأول قوله تعالى: {وَوَدُّوا لَوْ تَدُهُنَّ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]، فقد تمنى الكاذبون المداينة، أي تمنوا لو لنت لهم وترفقت بهم، وأن تتركهم على الشرك والكفر وتوافقهم عليهما، فقد جاء استعمال (لو)، بمعنى التمني غير الحاصل، ومن الثاني قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا} [البقرة: 167]، فالكفرة يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتسنى لهم التبرؤ من أوليائهم وساداتهم كما تبرؤوا منهم في الآخرة؛ فاستعمل (لو) للتمني غير المحقق وبعيد الوقوع (رضوان، ص40).

فالحرف (لو) شرطية امتناعية في الأصل، فحذف شرطها وجوابها، واستعيرت لمعنى التمني بعلاقة اللزوم، لأن الشيء العسير البعيد المنال ممتنع الحصول والمصدر سد مسد الجواب، وقيل استعمالها من باب المجاز المرسل المركب (ابن عاشور، ج2، ص97).

ب- (هل):

إن حرف الاستفهام (هل) يأتي لإفادة معنى التمني أحياناً، فالمُتَمَنِّي يتمنى أمراً يرى أنه متعذر الحصول أو بعيد المنال، وقد يعبر عن تمنيه بأسلوب الاستفهام، وتستخدم أداة الاستفهام (هل) في الغالب في إفادة معنى التمني، واستعمال (هل) في التمني من باب الاستعارة التبعية أو المجاز المرسل كما ذكره البلاغيون، وربما يكون استعمالها في التمني من مستنبعات التركيب لا غير (الصعيد، ج1، ص92).

وقد اتصل الألوسي بـ(هل) التي تفيد التمني في قوله عز وجل: {فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ} [الشعراء: 203]، يقول الألوسي في معنى الآية: "فَيَقُولُوا أي: تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ما فرطوه {هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ} أي مؤخرون" (الألوسي، ج19، ص129)، ف(هل) يأتي في الأصل للاستفهام، لكن جاء ها هنا ويراد منه معنى التمني مجازاً، ولم يستعمل أداة التمني (ليت) وعدل عنه لأنه يوحي بأن هذا الأمل مستحيل، فاستخدم بدلاً من ذلك أداة الاستفهام ليصور هذا المستحيل في صورة الممكن، والمعنى على ذلك: أنهم تمنوا إنظاراً طويلاً يمكنهم فيه من الإيمان والعمل الصالح (ابن عاشور، ج19، ص200) لكننا نؤكد أن الأسلوب البلاغي للأداة (هل) في التمني يرتبط جمالياً بالأداة البلاغية اللغوية ويتعامل معها بناء على جمالية التركيب.

ج- (لعل):

تستخدم (لعل) في معنى (ليت)، ويرى السكاكي أن "سبب توليد (لعل) معنى التمني في قولهم: لعل سألح فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول" (السكاكي، ص304 - 305)، واستشهد كثير من البلاغيين بالآية الكريمة على لسان فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} [غافر: 36-37]، في مجيء (لعل) بمعنى التمني، فاللعين يطلب من وزيره أن يقوم ببناء صرح فيرقى إلى السماء، فيطلع على خبر السماء كما أطلع عليه موسى، والملاحظ أن الألوسي حين تعرض لتفسير هذه الآية تعمق في سرد الخلافات النحوية في تخريج قراءة عاصم في الآية المذكورة، فعرض لمذهب الكوفيين الذين يجوزون نصب جواب الترجي إجراء له مجرى التمني، وعرض لمذهب البصريين الذين يمنعون ذلك ويرون أنه ليس للترجي جواب منصوب (الألوسي، ج24، ص69)، وتأولوا قراءة حفص في هذه الآية على أن (لعل) أشربت معنى (ليت) (المرادي، ص74)، لكن الملمح البلاغي المثير الذي أضافه الألوسي لمغزى العدول عن ذكر أداة التمني (ليت) واستبداله بأداة الترجي (لعل)، في هذه الآية، هو أن فرعون اللعين أخرج تمنيه في صورة ترج، بقصد التمويه على السامع، وإيهامه للعامة، حتى يبرز هذا المستحيل في شكل الممكن (الألوسي، ج24، ص69).

المطلب الرابع: الدلالات البلاغية لأسلوب التمني في روح المعاني

ولعل بعض البلاغيين سلموا من أن أسلوب التمني هو تركيب يفيد فقط معنى التمني ولا يخرج إلى معاني مجازية أخرى (الحسن، ص84)، على أن هذا لم يرتضه المحدثون، ويرون أن اللغة بمرونتها قادرة على التشكل وبث معاني نفسية سامية في ذهن المتكلم تفوق إمكانيات التعبير بالأسلوب الحقيقي (جمعة، ص187) وقد تنبه ابن يعقوب إلى تلك القيمة النفسية والمجازية لأسلوب التمني حين ذكر أن تمنى ما لا سبيل إليه قد يكون للاستعطاف، أو الاعتذار، أو ما شابه ذلك (المغربي، ج2، ص240)، فابن يعقوب تجاوز مجرد ملامسة الأسلوب من الخارج أو تحليل ظاهر العبارة، لكنه توغل إلى أعماق النفس، وحاول أن يضع يده على هذه الأمنيات المتناثرة المتعثرة في أرض هذا الواقع، فقولك: ليت لي قوة، تقولها لاستعطاف القوي، وتقول: ليت لي مالاً، تقولها للاعتذار لمن طلب منك شيئاً وعجزت عن إعطائه، وتقول: ليتني أعيش على نهر النيل مثلاً، تقولها لتروح عن نفسك وتتأى بها بعيداً عن أرض الواقع.

أما الألوسي فإنه بعد جهود حثيثة ومضنية لم أقف إلا على دلالة واحدة عنده، وهي دلالة التندم والتحسر، ويبدو أن هذه الدلالة هي الوحيدة التي ينصرف إليها أسلوب التمني المجازي في القرآن الكريم.

دلالة التندم والتحسر:

من صور دلالة التندم والتحسر في القرآن الكريم عند الألوسي قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: 27 - 28]، يقول الألوسي في معنى التمني في الآية: "وهذا التمني وإن كان مسوقاً لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريت جنايته إلى الغير وقوله تعالى: لقد أضلني عن الذكر، تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله..." (الألوسي، ج19، ص13)، ففي هذه الآيات يصور المولى عز وجل صورة الكافر الظالم، وقد قامت القيامة وأيقن أنه لا مفر من عقابه عز وجل، حينها يعض على كلتا يديه حسرة وندماً، ويتمنى لو أنه آمن بالرسول الكريم وبالقرآن الحكيم، كما يتمنى أنه لم يتخذ من صحبة الظالمين، وصورة العض لليدين جسدت هذا التحسر والندم المتعظم في أسلوب التمني. وتبقى هذه الإضافة القيمة من قبل الألوسي وهي إشارته إلى أن أسلوب التمني في الآية يتضمن نوعاً من التعلل والاعتذار وتوريت جنايته لغيره، وحتى هذه الإضافة استفاد الألوسي في تصويره لهذا المعنى من كلام أبي السعود (العمادي، ج6، ص214).

الخاتمة والنتائج:

تبين -فيما سبق- أن الألوسي استوفى الحديث عن أسلوب التمني بدأً من استيفاء المعنى اللغوي والاصطلاحي للتمني، ومن ثم اتصل بأداة التمني (ليت) وبين أنه الحرف الوحيد الذي يدل على التمني في أصل وضعه اللغوي، وتعرض لأدوات أخرى تقوم مقام (ليت) في المعنى وهي: (لو، هل، لعل)، فأسلوب التمني الحقيقي -عند الألوسي- أيًا كانت أدواته إنما هو: محبة حصول المطلوب مع التلطف بصيغة التمني، وهو إما أن يكون مستحيلاً، أو يكون ممكناً ولكنه بعيد الوقوع لا يتحقق، أما التمني المجازي فإن الدلالة الوحيدة التي ينصرف إليها أسلوب التمني في القرآن الكريم -بحسب الألوسي- هي دلالة التندم والتحسر، حيث تقوم بتصوير هذه الانفعالات

وقد استنتجت هذه الدراسة ما يلي:

- 1) يعد أسلوب التمني من أهم الأساليب الإنشائية، ويتناوله البلاغيون في مقدمة تناولهم للأساليب الإنشائية؛ ذلك لأن مفهوم التمني أعم وأشمل من باقي أساليب الطلب؛ لأنه لا يشترط فيه إمكانية الوقوع، بخلاف أساليب الطلب الأخرى التي تعد إمكانية الوقوع شرطاً في تحققه.
- 2) ينضم الألوسي إلى صف البلاغيين في تصنيف أسلوب التمني ضمن الأساليب الإنشائية، بخلاف ما زعم به النحاة في عده ضمن الأساليب الخبرية.
- 3) الحرف الوحيد المختص بصيغة التمني هو (ليت)، وقد يتمنى بأدوات أخرى _ (لو - هل - لعل) _ تتوب عنها لغرض بلاغي.

- (4) الدلالة الوحيدة التي يخرج إليها أسلوب التمني المجازي عند الألويسي، هي دلالة التندم والتحسر.
- (5) مفاهيم الإمام الألويسي حول أسلوب التمني: أنواعه، وأدواته، ودلالاته البلاغية، تشبه إلى حد كبير تلك المفاهيم السائدة في كتب السابقين له، وتقتصر مهمته في ترجيح رأي مرة، أو في الرد، أو الدفاع عن رأي، وفي الغالب لا يقدم شيئاً جديداً.
- (6) أن كتب التفسير مليئة بآراء ومسائل نقدية وبلاغية عميقة من شأنها التأثير في المسار الذي يسلكه البحث في النظم والبلاغة القرآنية والإعجاز القرآني.
- (7) يعد تفسير الألويسي من التفاسير المتخصصة بالبلاغة القرآنية، وقد تميز عن كتب التفاسير البلاغية لتأخره الزمني، مما أتاح لصاحبه الاستفادة من جهود العلماء قبله، فتنوعت نتيجة لذلك موارد الإمام الألويسي، فشملت كتب التراث البلاغي، وكتب التفسير، وكتب النحو وأصول الفقه.

التوصيات:

توصي الدراسة بمجموعة من التوصيات على النحو التالي:

- (1) توجيه عناية الباحثين إلى التوجه بمزيد من البحث نحو البلاغة القرآنية في كتب التفاسير، وعلوم القرآن، وكتب أصول الفقه، خدمة لكتابه الحكيم، ورجاء لثواب الله في الدارين.
- (2) دراسة البلاغة القرآنية في تفسير الألويسي، فهو مرتع خصب للأبحاث والدراسات البلاغية، وباب للبحث البلاغي لم يطرق بعد.
- (3) دراسة اعتراضاته واستدراكاته في المسائل البلاغية على من سبقه.
- (4) تكليف فريق من الباحثين يعني بدراسة مباحث البلاغة والإعجاز والنظم في كتب التفاسير دراسة استقرائية بوسعها ملء رفوف المكتبات بالمجلدات الغنية بالمادة العلمية.
- (5) توجيه العناية بالبلاغة التطبيقية بعيداً عن جمود القواعد البلاغية السائد في كتب المتأخرين، وإحكام الذوق، وهو المنهج الذي اتبعه المفسرون في كتبهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) ابن عاشور، محمد الطاهر (2000م): التحرير والتنوير، ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- (2) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (1414هـ): لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
- (3) الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد (د، ت): المفردات في غريب القرآن، تح: كيلاني، محمد سيد، (د، ط)، بيروت: دار المعرفة.
- (4) الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين البغدادي (1327هـ): غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، (د، ط)، بغداد: مطبعة الشايندر.
- (5) الألوسي، شهاب الدين محمود (د - ت): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د - ط)، بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث.
- (6) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (2001م): تفسير البحر المحيط، تح: عبد الموجود، عادل أحمد - معوض، علي محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- (7) البابرتي، أكمل الدين محمد بن محمود (1983م): شرح التلخيص، تح: صوفية، محمد مصطفى رمضان، ط1، طرابلس - ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- (8) البيومي، محمد رجب (1995م): النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، دمشق: دار القلم.
- (9) الجزائري أبو بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر (2003م): أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- (10) الجعيد، إبراهيم علي (1999م): خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى: رسالة دكتوراه غير منشورة.
- (11) الحسن، د. الوارث (2012م): أصول الكلام في علم المعاني بين تحديد المفهوم وتأصيل المصطلح، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- (12) الذهبي، د. محمد حسين (د-ت): التفسير والمفسرون، ط8، القاهرة: مكتبة وهبة.
- (13) الزركلي، خير الدين (1980م): الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، بيروت: دار العلم للملايين.

- 14) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (1983م): مفتاح العلوم، تح: زرزور، نعيم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 15) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم (١٩٨٠م): الأنساب، تح: اليماني، عبد الرحمن، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- 16) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1974م): الإتيقان في علوم القرآن، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، (د - ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 17) الصعيدي، عبد المتعال (2005م): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، القاهرة: مكتبة الآداب.
- 18) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (2007م): الوجوه والنظائر، تح: عثمان، محمد، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- 19) العسيلي، محمد بلال (2009): منهج الإمام الألويسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني، فلسطين، الجامعة الإسلامية بغزة: رسالة ماجستير غير منشورة.
- 20) - العلوي، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة (1992م): أمالي ابن الشجري، تح: الطناحي، د. محمد محمود، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- 21) العلوي، يحيى بن حمزة (د - ت): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (د - ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 22) العمادي، أبو السعود بن محمد (د - ت): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (د - ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 23) القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر (1998م): الإيضاح في علوم البلاغة، تح: غزاوي، بهيج، ط4، بيروت: دار إحياء العلوم.
- 24) المرادي، الحسن بن قاسم (1992م): الجنى الداني في حروف المعاني، تح: قباوة، د. فخر الدين، وفاضل، محمد نديم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 25) المغربي، ابن يعقوب (د - ت): مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: (ضمن شروح التلخيص)، (د - ط)، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 26) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه (1996م): البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط1، دمشق: دار القلم، بيروت: دار الشامية.

- (27) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (1996م): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: عميران، زكريا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- (28) أنيس، إبراهيم، وآخرون (د - ت): المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، (د - ط)، القاهرة: دار الدعوة.
- (29) جمعة، د. حسين (2005): جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت www.awu-dam.org
- (30) رضوان، د. بسيوني عرفة (1986م): الأساليب الإنشائية في ضوء القرآن الكريم، (ب، ط)، القاهرة: دار الرسالة.
- (31) كحالة، عمر رضا (د-ت): معجم المؤلفين، (د-ط)، بيروت: مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي.
- (32) التفتازاني، سعد الدين (1991م): مختصر المعاني، ط1، دمشق: دار الفكر.